إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً , يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:70، 71]

إخوة الإسلام، وسنعيش لحظاتٍ ماتعةً مع وصية عظيمة صدرت من معلم البشرية وسيد الخليقة نبينا محمد ، وهو يوجه للأمة وثيقةً خالدةً تصلح بها حياتُها وتفلح بها آخرتها، تسعد بها أفرادها وتزدهر بتحقيقها مجتمعاتها. وثيقةٌ يجب أن تكون نصب أعيننا، وأن يكون تطبيقها حاكمَ تصرفاتنا وموجه تحركاتنا ومصحح إراداتنا وتوجهاتنا.

وثيقةٌ لا تنظر لتغليب مصلحة قومية، ولا تنطلق من نزعة عرقية أو نظرة آنية. وثيقةٌ صدرت ممن لا ينطق عن الهوى، ولا يصدر إلا عن وحي يوحى. وثيقةٌ محمدية ووصية نورانية تنهض بالأمة للحياة المزدهرة المثمرة بالخير والعزة والصلاح والقوة.
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:24].

أيها المسلمون، إن العزة في تحقيق هذه الوصية مضمون، والمجد في الدارين بتنفيذ بنودها مرهون، قال الله جل وعلا: لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ [الأنبياء:10]، ويقول جل وعلا: فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [الأعراف: 35]، الأفراد بدون تحقيقها في ضياع، والمجتمعات في البعد عن مضامين هذه الوثيقة إلى تشتت ودمار. وثيقةٌ تربط المسلم بالأصل مع اتصاله بالعقل.

ولنستمع -يا رعاكم الله- إلى تلك الوصية العظيمة والوثيقة الخالدة سماعَ استجابة وتحقيق واستماع امتثال وانقياد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت خلف النبي يوماً فقال لي: ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف)) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح".

وفي رواية غيره: ((احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)).

قال أهل العلم: هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد من أهم أمور الدين، حتى قال بعضهم: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أن أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه.

أيها المسلمون، حِفظ الله المرادُ في هذا الحديث هو حفظ حدوده والالتزام بحقوقه والوقوف عند أوامره بالامتثال وعند مناهيه بالاجتناب، قال جل وعلا: هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ [ق:32، 33]. حفظٌ يتضمن حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((الاستحياء من الله حقَّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن وما حوى)).

حفظٌ يمنع الجوارح من الزلل والحواس عن الخلل، قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)) رواه البخاري.

حفظٌ يضبط الشهوات أن تميل بصاحبها إلى الضلال، أو أن تجنح به عن مبادئ القيم وكريم الخلال، قال جل وعلا: وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً [الأحزاب:35].
معاشر المؤمنين، من قواعد الدين أن الجزاء من جنس العمل، فمن حقق حفظ الله بالمعنى المتقدم تحقق له حفظُ الله ورعايته وعنايته، حفظاً يشمل دينه ودنياه، ويحقق له المصالح بأنواعها، ويدفع عنه الأضرار بشتى أشكالها، قال أهل العلم: وحفظ الله للعبد يدخل فيه نوعان من الحفظ:

أحدهما: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه بحفظه من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة بالحيلولة بينه وبين ما يفسد عليه دينه، قال جل وعلا: كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوء وَٱلْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ [يوسف:24].
النوع الثاني: حفظٌ له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال جل وعلا: لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ [الرعد:11]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه).

فمن حفظ حدود الله ورعى حقوقه أحاطه الله بحفظه، ومَنَّ عليه بتوفيقه وتسديده، وعاد عليه بتأييده وإعانته، إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ [النحل:128]. قال قتادة رضي الله عنه: "من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل"، وكتب بعض السلف إلى أخ له: "أما بعد: فإن كان الله معك فمن تخاف؟! وإن كان عليك فمن ترجو؟!".

إخوة الإسلام، ومن مضـامين هذا النوع أن الله يحفظ ذرية العبد الصـالح بعد موته، كما قال جل وعلا: وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحاً [الكهف:82]، قيل: إنهما حُفظا بصلاح أبيهما، كما قال جل وعلا: وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً [النساء:9].

ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته؛ جاوز بعض السلف المائة سنة وهو ممتَّع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدةً فقيل له! فقال: "هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر".

فالله جل وعلا يقول: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيـٰمَةِ أَعْمَىٰ [طه:123، 124]، فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة:38].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7].
بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الآيات والبيان، أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل.
إخوة الإسلام، وما من أمة مسلمة في عبر التأريخ تخالف هذا النهج إلا تخلفت في ذيل القافلة، وذلت وطُردت من الهيمنة، واستبدّ فيها الخوف، وتخطفها الأعداء، كما قال الله جل وعلا: أَوَ لَمَّا أَصَـٰبَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران:165]،

أمة الإسلام في كل مكان، إن وعد الله قائمٌ مهما اختلفت العصور وتغيرت الأحوال متى قام الشرط المذكور، فمن شاء تحقيق الوعد فليقم بالشرط، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ [التوبة:111].

ولهذا لما سار سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم على هذا المنهج ثقةً بالله، واعتماداً عليه، وقوةَ إيمان به مع ثبات في العزيمة، وصبر على الشدائد، وتأسٍ كامل بخير أسوة رسول الله ، مع عملٍ خيّر متواصل لا ينقطع، حينئذ أقام الله بهم شوامخ صروح هذا الدين، وقامت بهم دولة الإسلام القوية في أصقاع الأرض، ذلكم أنهم وزنوا الدنيا في واقعها بميزانها الحقيقي، فلم يركنوا إليها، وعرفوا حقارتها وسرعة زوالها، فلم يخدعوا أنفسهم بها، بل عرفوا الآخرة، وقدروها حق قدرها، وجعلوها نصبَ أعينهم، فلخلودها يعملون، وعليها يحرصون، فهانت عليهم الصعاب من أجلها.

Version en français :

Les créatures les plus heureuses sont ceux qui adorent Allah le mieux, et plus le serviteur s’abaisse devant Allah et plus il montre qu’il a besoin de Lui, plus il est proche d’Allah et plus il est estimé auprès de Lui et des créatures.

De plus, le serviteur est incapable d’obtenir par lui-même ce dont il a besoin et de repousser par lui-même ce qui lui cause du tort, il a besoin de l’aide de son Créateur. Allah (qu'Il soit glorifié) est le Seul à être imploré pour ce que nous désirons, Il n’a pas besoin des créatures et toutes les créatures ont besoin de Lui.

Les péchés des serviteurs sont très nombreux et ils ne peuvent être sauvés de ces péchés qu’avec l’aide d’Allah et Son Pardon ; et beaucoup de grands péchés provenant du cœur comme l’hypocrisie dans les actions et l'ostentation [le fait d’accomplir les actes pour être vu par les gens], l’orgueil, la jalousie [celle qui est blâmable], et l’abandon de la confiance en Allah [ne pas s’en remettre à Allah dans toutes nos affaires], peuvent être commis par l’homme sans qu’il ne s’en rende compte ; et il se peut qu’il ne commette pas certains petits péchés apparents alors qu’il est insouciant de ces grands péchés provenant du cœur.

Et les causes abstraites empêchent l’homme de réaliser ce qu’il désire, et il se peut qu’il frappe à une porte où il pense qu’il y a du bien pour lui, et il se rend compte que c’est un mal dont il ne peut être sauvé qu’en s’en remettant complètement au Puissant et très

Miséricordieux. Allah a donné beaucoup d'importance la confiance en Lui et Il l'a placée parmi les degrés de la religion, et Il l'a jointe à l'adoration dans Sa parole :
{Adore-Le donc et place ta confiance en Lui}.

Le hadith que nous allons voir ci-dessous est un guide et un mode d'emploi , Ce dernier, rassemble dans un ordre précis les étapes de l'apprentissage…..Cette parole du prophète (sws) est très instructive car en plus d'être une parole, celle-ci est une action en cours,

Voici le hadith en question : Ibn 'Abbas : «Ö mon enfant ! Je vais t`enseigner quelques préceptes.
Observe les commandements d'Allah, Il te protègera. Observe les commandements d'Allah, tu Le trouveras devant toi. Si tu demandes quelque chose, demande-la à Allah. Si tu cherches de l'aide, cherche-la auprès d`Allah. Sache que si la communauté s'unissait pour te faire du bien, ils ne te feraient que le bien qu'Allah t'a écrit, et s'ils se réunissaient pour te causer du tort, ils ne te feraient que le tort qu'Allah t'a écrit. Les plumes sont levées et l`encre des feuillets a séché».

Le premier principe consiste à inculquer la protection d'Allah (swt) lorsque le serviteur lui obéis. Aujourd'hui nous avons un réel problème, nous ne ressentons plus la présence d'Allah (swt). Psychologiquement, lorsque nous somme confrontés à un problème, nous nous sentons souvent seul, alors qu'Allah nous console dans plusieurs versets en nous apprenant : **« Dieu nous suffit; Il est notre meilleur garant » (Al-i Imran/173).**

Nous nous éloignons d'Allah lorsque nous ne prêtons plus attention envers ces ordres et à partir de ce moment Allah aussi ne fait plus attention à son serviteur ingrat **« Ils ont oublié Dieu et Il les a alors oubliés » (Tawbah/67).** Ainsi, à travers les versets nous remarquons l'importance d'obéir à Allah pour le trouver près de nous.

2/ Le prophète (paix et salut sur lui) nous apprend dans une de ses paroles : « L'invocation est l'adoration ('ibada) ». Nous savons que l'un des piliers de l'unicité est de n'adorer qu'un seul Créateur. De ce fait, les premières valeurs que nous devons inculquer à nos enfants sont les piliers du Tawhid (unicité), pour pouvoir les protéger de cette grande injustice qui est l'associationnisme (Shirk).

En conclusion, chères sœurs, ce hadith est d'une grande importance dans notre vie. Retiens ces préceptes et inculque-les le plus possible autour de toi, en premier à ta famille.

Certes « vous avez dans le Messager de Dieu un excellent modèle à suivre » (Ahzab/21)le plus beau, merveilleux et exceptionnel.
Essayons de commencer par soi-même, puis portons dans notre cœur le souci de la religion.

Allah est Puissant, Il n'abaisse pas celui qui recherche Sa protection et Il n'abandonne pas celui qui L'appelle. Et le soulagement des tourments arrive lorsque le tourment atteint son paroxysme, et la facilité est jointe à la difficulté.

Connaissez votre Seigneur pendant l'aisance, Il vous connaîtra dans les difficultés. Et « Allah nous suffit, Il est le meilleur garant » est la parole que l'ami d'Allah [Ibrahim] dit dans les difficultés ; et quiconque place sa confiance sincèrement en Allah pour obtenir une chose, l'obtiendra ; celui qui s'en remet à Allah, Il dissipera ses soucis ; celui qui réalise la confiance en Lui, Il ne le laissera pas s'en remettre à un autre que Lui, mais Il le protègera et s'occupera de lui Lui-même :